الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة

جامعـــة محمد بوضياف-المسيلـــة

تحت الرعاية السامية للسيد مدير الجامعة وبالتعاون مع كلية الآداب واللغات

ينظم مخبر الشعرية الجزائرية

الندوة العلمية الوطنية الثانية الموسومة: الرواية الجزائرية والكتابة السير ذاتية

يـــوم2019/03/11

الاسم واللقب: خوجـــة زينـــب

إشراف: الدكتـــورة وسيلـة سنانـي

جامعة: محمد الصديق بن يحي-جيجل-

التخصص: النقـد العربـي المعاصر

الدرجة العلمية: طالبـة سنـة ثانيـة دكتوراه

البريد الإلكتروني:nouharitaj92@gmail.com

الهاتف:0657816950

محور المداخلة: الرواية الجزائرية العربية والكتابة السير ذاتية.

عنوان المداخلة: تمفصلات الكتابة السير الذاتية في الرواية الجزائرية

"طيور في الظهيرة" البزاة" لمرزاق بقطاش أنموذجا"

ملخص:

الكتابة الذاتية هي إحدى أبرز الإنتاجات الخطابية المتميزة، لتكريس ثقافة تواصلية فاعلة ومثمرة بطريقة مبنية على المكاشفة والمصارحة، تضمنت أشكال مختلفة وأنواع متعددة، لكن تعد السيرة الذاتية أشهرها.

حيث لاقت اهتماما أدبيا غربيا حتى أصبحت جنسا قائما بذاته له معاييره وشروطه الفنية لتداوله الأقلام العربية فيما بعد، بعد تأثرها بالمنجزات الغربية وكانت بدايتها خجولة إلى أن تم مزجها

بالرواية ليجتمع الواقع والمتخيل في قالب جديد سمي بالرواية السير ذاتية، وقد تناولته الرواية الجزائرية حيث كان افتتاحية الولوج إلى العالم المتخيل.

لاقت السيرة الذاتية النصيب الأكبر من الرعاية الأدبية والنقدية لتصبح في مرحلة متأخرة جنسا قائما بذاته، اتجهت نحوه الأقلام الأدبية الغربية وأبدعت فيها ومجزتها مع أجناس أخرى ولعل رواية **نسب قد تكون** "**لآس ق لآبـم عـلآت "بـمـت**" من أهم الروايات التي تتمحور حول هذا الموضوع ومن هنا كانت الإشكالية المطروحة: هل تناولت الكتابة الجزائرية هذا الفن بنفس الصراحة والصدق في الكتابة الغربية؟ أم جعلت من المتخيل ستارا تتخفى وراءه؟ وهل ثنائية بقطاش استوفت شروط السيرة الذاتية؟ وإلى أي مدى تتطابق مع الواقع؟ وما موقف السارد ورد فعل المتلقي؟

مفتتح:

شكلت الكتابة عن الذات أحد المرجعيات الأساسية للرواية مزج فيها الروائي بين السيرة والرواية فتولدت إشكالية تجنيسية تعالقية بين الرواية والسيرة الذاتية اجتمع فيها الواقع بالمتخيل في قالب جديد سمي برواية السيرة الذاتية من هذا المنطلق حفل المتن الروائي الجزائري بتصوير الذات الجزائرية بأشكالها المختلفة المؤتلفة كشفت عن ازمة المثقف الجزائري الباحث عن الذات في عالم إشكالي نصفه بالواقعي من جهة وبغير الواقعي من جهة أخرى.

أصبح تداخل الأجناس الأدبية في الآونة الأخيرة إشكالية كبيرة بالنسبة إلى مصنفي الأدب وقد أصبح تمييز كل جنس أدبي عن غيره مسألة صعبة ، إذ لا يمكن أن يقدم عليها إلا من يروم النظر في الظاهرة بعيدا عن تجلياتها العادية والملموسة لما يعتريها من تطور وتغير– عبر العصور والبيئات – لكن هذه الصعوبة تزداد عندما يكون الجنس المبحوث فيه ذا ملامح خاصة ولم يعالج في بحوث سابقة بصورة تقرب أبعاد تلك الملامح وتيسر للباحث أن يضيف أو يعدل لتداخلها وتداولها من بعضها البعض، ومسايرة لهذا المبدأ فإن نظرية الأجناس الأدبية الحديثة لا تقر بنقاء الأجناس الأدبية وتؤكد على التنافذ.

والتداخل بينها فيما تقدمه الممارسات الفنية من دلائل على التعالق والانفتاح لا يمكن إلا أن يحطم ذلك الانطباع السائد عن نقاء النوع الفني وأن يخلخل نموذجيته المحددة وهويته الخاصة[1] ".

وما الرواية إلا كباقي الأجناس الأدبية الأخرى أصبحت تستقطب كل الفنون الأدبية من شعر ومسرح وتاريخ وسير ذاتية "، وقد بلغت الرواية أوج تطورها كنص مفتوح على كل إمكانات التجديد في القرن العشرين وذلك بعد التطورات الجذرية التي عرفتها نظرية الرواية وقد أصبح هذا الشكل الروائي الجديد يستلهم كل النماذج والأشكال المتوارثة والحداثية إلى درجة أن امحت فيها الحدود والفروق بين الأنواع والأجناس الأدبية فانكتبت الرواية بكل اللغات لغة الشعر والموسيقى والحكاية والسيرة والدراما[2]".

وباعتبار السيرة الذاتية أقرب الأجناس الأدبية إلى الرواية كانت واحدة من هذه الأجناس التي تلبست بثوب الرواية والتي تفرع منها ما أسماه جورج ماي May G بالسيرة الذاتية الروائية . ونحن نفترض أن السيرة الذاتية الروائية هي " ممارسة إبداعية مهجنة من فنيين سرديين معروفين السيرة الذاتية والرواية[3] " فمن حيث البناء الفني يوجد تداخل كبير بينهما خاصة في شكل السارد الذاتي الذي يعد البطل والراوي معا في السيرة الذاتية كما يظهر بوصفه شكلا مألوفا في الرواية يكون فيه السارد هو الشخصية الرئيسية التي تدور حولها الأحداث فيصف الأشخاص والأحداث من وجهة نظره ومن المألوف أيضا أن يتم السرد بالمنطق والتماسك إلى درجة نقتنع معها أن أحداث النص الذي نقرؤه قد وقعت بالفعل .

إن السيرة الذاتية في مفهومها العام وحسب "فيليب لوجون": "Logon P" "حكي استعدادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ

---

[1]– أ.د عدنان حسين العوادي: السيرة الذاتية الروائية التنافذ الأجناسي وإشكالية التصنيف مجلة القادسية للعلوم الإنسانية العدد 1، 2010، ص71.

2 – ليندة خراب: تناص التراث الشعبي في الرواية، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، 1998–1999، ص 98 .

3– أ.د عدنان حسين العوادي: السيرة الذاتية الروائية التنافذ الأجناسي وإشكالية التصنيف، ص71.

شخصية بصفة عامة مستندا في ذلك إلى مجموعة مرتكزات حددها "لوجون" Logon" "بشكل الكلام والموضوع المطروق ووضعية المؤلف ووضعية السارد "[1].

يعد مصطلح السيرة الذاتية "مصطلح محاط بالغموض والالتباس ، على حد ما كونه جنسا زئبقيا ينزع نحو التجديد والتكلف، ولا يميل نحو الثبات، وهذه الحركية بين الأجناس الأدبية متأتية من كونه أكثر مرونة وعدم انغلاقها على قواعد التجنيس الصارمة، وإنما لتؤكد مرونتها الذاتية، وانفتاحها المتصل في مدارتها، الذي لايكف عن الجديد المختلف المغاير"[2].

فالسيرة الذاتية إذن تتميز بالانسيابية والمرونة من جهة، والانفتاح والتجديد فيما يخص الذات كالجنس الأدبي من جهة أخرى.

ريق ء لثبة تبمشلآ تبمنلآ ت:

إن من الدوافع والأسباب التي تدفع الكاتب إلى كتابة سيرته الذاتية كثيرة سواء صرح كاتب السيرة بذلك أم لم يصرح، محاولا بذلك كتابة سيرته وترجمة حياته، حتى لاتضيع وتندثر، وهذه الدوافع كثيرة قد تختلف من كاتب إلى آخر.

"الرغبة الفطرية بالخلود، وهذه الرغبة تشتد عنده عندما يشعر بتفرد والتميز، ففي هذه الحالة يقوى إحساسه بأنه إنسان يستحق البقاء، وكذلك تشتد رغبته بالخلود، إذا شعر بدُنو أجله، وقد يتولد عنده ذلك الشعور لأسباب مبهمة أو لإصابته بالمرض مثلا."[3] فحياة الكاتب النفسية لصيقة به تؤثر فيه عن طريق ظهور اضطرابات نفسية أو من خلال الظروف المحيطة به في المجتمع.

كما تستدعي السيرة الذاتية لمؤلفها تلك اللذة الفنية الفريدة المتمثلة في فعل الكتابة ذاته وقد يجد الكاتب والمبدعون عندما يؤلفون في فعل الكتابة ضربا من اللذة الفنية تبلغ أقصاها في كتابة السيرة

3- محمد صابر عبيد: تمظهرات الشكل السير ذاتي قراءة في تجربة محمد القيسي السير ذاتي عالم الكتب الحديث إربد الأردن ط1، 2010، ص99.

[2]- نبيل حداد، محمود دراسية، تداخل الأنواع الأدبية، مؤتمر النقد الدولي الثاني عشر22،24 تموز2008م، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة اليرموك، عالم الكتب الحديث النشر والتوزيع، م2، ط1، 1429-2002م، ص21-22.

3- تهاني عبد الفتاح شاكر: السيرة الذاتية في الأدب العربي ص25.

الذاتية، ذلك أن كاتب السيرة الذاتية يتلذذ باستحضار الذكريات السعيدة التي عاشها.[1]

ومنه فعلى كاتب السيرة الذاتية أن تكون له ذائقة فنية عتد كتابتها، بحيث يجب أن يشعر ويحس بما يكتبه، ويتفاعل معه.

وكذلك من الدوافع البارزة وراء كتابة السيرة الذاتية" وبخاصة في العصر الحديث الاتصال الوثيق بين الأدبين العربي والغربي، وقد يضاف أيضا إلى دوافع كتابة السيرة الذاتية دافعا جوهريا آخر يتصل اتصالا وثيقا بالتجارب العاطفية الحقيقية، ولا ننسى أن نذكر الدافع النفسي، وهو مانلمسه في معظم السير ذاتية."[2]

ومنه فقد كان للغرب تأثيركبير على العرب فيما يسمى بتمازج الحضارات، فأخذوا ونقلوا منهم ما وجدوه يستحق النقل.

" ومما لايستحسنه النقاد والدارسين على صاحب السيرة الذاتية أن يبدأ بكتابة سيرته الذاتية في عمر محدد وسن معينة، بل يقدمون الأمثلة للذين بدؤوا في وقت مبكرة، ومن هذا المنطلق يقول(إحسان عباس):" وليس لدى الكاتب من عمر محدد يقفون عنده لكتابة سيرتهم، فإن نيتشة كتب سيرته وهو في الأربعين، وكتبها سلامة موسى حين بلغ الستين وأحمد أمين حين تجاوز هذه السن أيضا".[3] فلكل كاتب سن خاصة به يكتب فيه الذاتية.

فالكاتب قد يكتب سيرته الذاتية" قبل أن تتضح له نتائج تطور خطير في حياته وقد يكتبها قبل أن تقف مبادئه في الحياة واضحة جلية لعينيه، وهناك خطر آخر: فهو أنه يحشد في سيرته تجارب كان من الممكن أن يفيد منها في بناء عدة قصص، وفي خلق عدة شخصيات وفي نظم عدد من القصائد أو

---

[1]– محمد البارودي: عندما تتكلم الذات، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص61.

[2].-ندى محمود مصطفى الشيب: فن السيرة الذاتية في الأدب الفلسطيني بين 1992_2002، قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية، كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، إشراف الأستاذ عادل أبو عشة، 1427ه– 2006، ص140.

[3]– سيد إبراهيم أرمن: السيرة الذاتية وملامحها في الأدب العربي المعاصر، ص 21.

استغلالها في أي فن أدبي آخر..."[1]ومنه فعلى الكاتب هنا أن يكون متهيئا جيدا على المستوى الفكري والنفسي حتى لاتفوته أمور يعجز عن التعبير عنها.

ضف إلى ذلك أن الإنسان" قد يكتب سيرته الذاتية استجابة لدوافع خارجية، وهذه الدوافع تتمثل بالرغبة في تعليم الآخرين وتوجيههم، وذلك يحدث عندما يرى كاتب السيرة أن حياته تصلح لأن تكون عبرة للآخرين، وتتمثل أيضا بالرغبة في الدفاع عن النفس، وذلك حين تتوجه أصابع الاتهام إليه بسبب أفعال ينسب إليه عملها، ففي هذه الحالة يكتب سيرته ليبرر أفعاله أمام الآخرين، أو ينفي قيامه بها، وقد يلح عليه الأصدقاء لكتابة سيرته فيكتبها إرضاء لهم"[2]. فالدوافع الخارجية المحيطة بالكاتب لها الدور الفعال والمؤثر عليه، كما يجب أن تكون له الرغبة في كتابة الأمر الذي رآه أو أراده.

ولكي يستطيع الإنسان كتابة سيرته الذاتية" لابد له من امتلاك موهبة فنية تساعده على ذلك، لأن وجود الدوافع وحدها لاتؤهله لكتابتها، فليس بمقدور كل إنسان أن يكتب سيرته الذاتية"[3].

فالكاتب الموهوب له ذائقة فنية خاصة تجعل من سيرته جميلة وتسحر قارئها ذلك، لأن وجود الدوافع وحدها تجعل من الإنسان كاتبا لسيرة ذاتية خاصة به، لكان كل البشر كتاب وباحثين وبمقدور كل واحد كتابة سيرته الذاتية الخاصة به.

وما يمكننا استخلاصه في الأخير أن وجود الدوافع في السيرة الذاتية أمر لابد له أن يكون، فلكل كاتب دوافع خاصة به تجبره على الكتابة والبوح والإفصاح عما يجول في خاطره وليس معنى هذا أن كل واحد منا يستطيع كتابة سيرة ذاتية، وأن هذه الأخيرة لها شروطها الخاصة.

نعلم أن كل محاولة أدبية في الكتابة (نثرية أو شعرية) تتبعها محاولة نقدية لإرساء القواعد و الأسس لها، لـ ذا لم يخلو هذا الجنس الجديد المرن من هذه المحاولة أو التنظير النقدي، والبداية دائما غربية حيث نجد " فيليب لوج ون " من أكثر المهتمين به في كتابه (السيرة الذاتية، الميثاق والتاريخ

1- المرجع نفسه، ص 21.

[2] – تهاني عبد الفتاح شاكر: السيرة الذاتية وملامحها في الأدب العربي المعاصر، ص26.

3- المرجع نفسه، ص26.

الأدبي) إذ نجده أعاد نقد ما كتبه في كتابه (الميثـ اق الأوتوبيوغرافي) في مقدمة كتابه السابق، وحاول وضع تعريف جديد لهذا الجنس (حكي استعادي نثـ ري يقـ وم بـ ـه شخص واقعي عن وجوده الخاص وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته بصفة خاصة)[1].ثم اشترط خاصيتين تميزانه هما: الميثاق والتطابق، ومن ناحية أخرى ميز بين السيرة الذاتية ورواية السيرة الذاتية، وقبل ذلك طرح الموضوع كسؤال ليجيب بأنه لا وجود لأي فارق ، لكن بشرط إذا بقي القارئ على مستوى التحليل النصـ ي فلن يعثر على أي فرق لأن كل الأساليب التي تستعملها السيرة الذاتية تستعملها الرواية، وقد قلدتها في كثير من الأحيان كما قال، خاصة و أن الدراسات تضم صفحة الغلاف، وبالتالي سيتحقق شرط التطابق الذي يجب توفره فـ ي السـ يرة الذاتية، وهنا يؤكد على أهمية العقد؛ عقد مشابهات لتأكيد التطابق في حالة التخييل الطاغي على النص، وإن لم يرغـ ب المؤلف في ذلك.

ومن بين الروائيين الجزائريين الذين وظفوا سيرهم الذاتية فـ ي كتابـ اتهم مرزاق بقطاش في (طيور في الظهيرة) (و البزاة) وهما جزءان لرواية واحدة، تبعا للمقولة القائلة بأن " معظـ م الروايات الأولى هي سير ذاتية "، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل **تقمص** الروائية سيرة ذاتية؟ وهل استوفت شروط السيرة الذاتية؟ وإلى أي مدى تتطابق مع الواقع؟ وما موقف السارد ورد فعل المتلقي؟ وبصيغة أخرى: هل أثـ ر مرزاق في المتلقي وحمله على تصديق أقواله، وبالمقابل هل تفطن القارئ لمناورات الروائي أم وقع ضحيته، فكذب ما هو حقيقي وصدق ما هو وهمي؟.

تتطلب الإجابة عن هذه الأسئلة الاعتماد على ما أقره **فيليب لوجون** في دراسته، أي الخصائص التـ ي وضـ عها للكشف عن السيرة الذاتية التي تختفي تحت جنس الرواية، وقد حددها في الميثاق والتطابق.

1-**الميثاق:** يوجد ميثاقين : الأول **الميثاق الصريح بالاسم**: أي الإعلان الصريح بالتخيل، وقد تضمنته الثنائية حين حملت على غلاف الكتاب علامة أجنسية رواية مصاحبة للعنوان ليعلن فيها **التقمص** للقارئ منذ البدء أن مايتلقاه مجرد تخيل لا غير.

---

[1] – أحمد حيدوش: السيرة الذاتية في الرواية الجزائرية، ملتقى إشكالية الأدب في الجزائر، 26-28 أبريل 2005 ،منشورات مخبر الأدب العام والمقارن، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار – عنابة – 2006 ،ص 39 .

2-**ب-ج-ه-ل-آ: ل-آ-ج- ق-ب-م-ش-ل-آ-ن-ب-ن-ث-ل-آ:** وقد اعتبره "**م-ي-ح-ى-ه**" مقياسا لتحديد طبيعة نص السيرة الذاتية، وهذه الأخيرة مبنية على الثق ة، أي أن النص يجب أن يضمنه كاتبه اعتذارات وتوضيحات ومقدمات وإعلان النية وهذه كلها إنما هي ش عائر لإيج اد اتصال مباشر، لذلك تأتي أهمية الميثاق في كونه نوعا من العقد يبرمه المؤلف مع القارئ يتم بموجب ه تحديد د ن وع القراءة"[1]، وقد يأتي مباشرة أو ضمنيا في بداية النص أو نهايته أو يرد أحيانا مبثوثا يتخلل النص . لا نجد في (طيور في الظهيرة، والبزاة) ميثاقا صريحا وعهدا يعلن فيه الكاتب عن نيته في ترجم ة حياة ه وحي اة عائلته، لكن نجد إشارات تشبه الميثاق تظهر في ثلاثة مواضع :

1- العنوان: يشكل العنوان عنصرا أساسيا في النص لتعدد وظائفه، فهو بؤرة تشويقية للقارئ ومفتاح يساعده للول وج إلى عالم النص، إلى جانب هذا يعتبر من الثوابت المهمة لجنس رواية السيرة الذاتية الذي يوحي بأن كاتبها يروي قصة حياته، ومن المعروف في عالم العنونة أنه إذا كان اسما فمن المفضل أن يكون نكرة ليت رك للق ارئ مج الا للبحث عن تحديد اللامحدود وتعيين اللامعين.

2- تنقسم " **ع-ن-و-ن-ل-آ-ب-م-ع-ل-آ-ت** " إلى اسمين : جاءت الأولى " طيور " نكرة وغير محددة بنوع معين رامزة إلى الأطفال الجزائريين و الإسبانيين، فالأطف ال بالسليقة لا يعرفون معنى العداوة، والبراءة تسير في أجسادهم، فالجنسية غير مهمة، والحدود سواء كان ت سياس ية أو اجتماعية أو جغرافية ممحية، المهم أن يكون الطفل «واحدا من أطفال الحي وكفى »[2]، ووردت الثانية " الظهيرة " معرفة لتدل على وقت محدد دون غيره، وقت تكون فيه الشمس وسط السماء س اطعة، اختاره **ش-ب-ق** لأن فيه مزايا تخدم الطيور الأطفال، ففيه يكون الغذاء، والتوقف عن العمل وبالتالي الراحة، وأيضا القيلولة، وتقل الحركة في الشارع خاصة في فصل الصيف، وهذا مناسب للأطفال فبعد يومهم المتعب الشاق طبعا ف ي اللعب لأنهم «يبدءون ألعابهم في الصباح الباكر" [3]، يتفرقون في هذا الوقت، ويتجه كل واحد منهم في حـ ال سـ بيله لإزالة تعبه.وكانت طريقة مراد الاستلقاء « استلقى مرا د و أمقران

---

[1]- انظر خليل شكري هياس: سيرة جبرا الذاتية في (البئر الأولى وشارع الأميرات)، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2005، ص12.

[2]- مرزاق بقطاش: طيور في الظهيرة ص19.

3- نفس المصدر، ص23.

على الحشائش الطفيلية التي تنبـ ـت علـ ـى جـ ـانبي الدرب، شمس الظهيرة كانت ساطعة، تبعثها على الفتور»[1] .

اختيار مرزاق لهذا العنوان لم يكن عبثا إنما نابع من ذات دارية بخبايا نفوس الصغار في تطلعها إلى الأجـ ـواء الحرة التي يسودها الهدوء والطمأنينة، هذا الإحساس والأمل لا يدركه إلا من عاش تلك الفترة بالذات، عاشها بقطاش، وأعادها لنا من خلال الطفل مراد، فهو لم يكتف بذكر سيرته فقط، وإنما أدمجها في الجماعة لتتجاوز الذات وتقع فـ ـي صلب المحن "الوطن".

قطع الروائي الطريق واقتصرها على القارئ، في عنوان الجزء الثاني من الرواية، حين قام بتعريف " البزاة " ليبين أن المقصود فئة معروفة لدى القارئ نفسه و هم أطفال الجزائر، من نمى وعيه فقط وقد اقتصرت الرواية علـ ـى الطفلين مراد ومحمد الصغير، اللذين خرجا من عالم الطفولة عقلا وتفكيرا وأصبحا ناضجين «إلى جانبه – مراد – يقف محمد الصغير صامتا، يرنو إلى البحر بعينين ساهيتين وترتسم على ملامحه دلائل الحيرة، إنها بالطبع حيرة لا صـ ـلة لها بعوالم الطفولة ».[2]

إنه نضوج مبكر و وعي بالظروف المحيطة و إدراك بالمسبب فيها و رغبة في القضاء عليه، و أمل في التغيير من قبل بزاة صغار، كيف لا و الباز يرمز إلى العلو والشموخ والقوة، حيث يطمح الطفلان إلى غد أجمل يعلـ ـى فيـ ـه شأنهما، يتوق محمد الصغير إلى أن يصبح كهربائيا، و يطمح مراد في أن يكون معلما .

2- الإهداء: يمثل الإهداء بوصفه عنصرا من العناصر الموجهة للنص السير الذاتي عتبة نصية مهمة تسهم في إضاءة النص، و تشير بشكل مباشر و لاسيما في نص يمثل سيرة الكاتب الذاتية، لأن الإهداء هنا لو كان علـ ـى أي عمـ ـل إبداعي آخر مثل الرواية أو القصة لما كان بهذه الأهمية التي نجدها في النص السير ذاتي، لأنه في العمل الروائـ ـي يحيل إلى خارج النص، فيحين أنه في العمل السير ذاتي يحيل إلى داخل الـ ـنص ويعمـ ـل علـ ـى توضـ ـيح بعـ ـض جوانبه "[3]، نلتمس هذا

1- نفس المصدر، ص46.

2- مرزاق بقطاش: البزاة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص9.

3- خليل شكري هياس، سيرة جبرا الذاتية، ص40.

الإهداء المتقدم في " طيور في الظهيرة «" إلى المغفور له والدي، كان أميا و لكن ه علمني أن أق دس العربية »، حيث قدم لنا مرزاق من خلاله تداخل بين ذات الأب الحقيقية و بين الأب المتخيل لمراد، ليبرز في أمية كل منهما، يعترف مراد في وسط الرواية بأن « والده لا يعرف حتى كتابة اسمه »[1]، ويؤكد ذلك ف ي نهاي ة الرواية« في بعض الأحيان يصحب معه عددا من الصحف لكي يقرأها **لي** على مسامعه، وهو يعلم جيدا أن والده لا يحسن القراءة ولا الكتابة »[2]رغم أميته إلا أنه أحب لغته كثيرا و أراد من ابنه تعلمها حيث أرسله إلى المدرسة التي تعلم اللغتين العربي ة والفرنسية وبذلك« أصبح الوحيد الذي له القول الفصل في مسائل اللغة العربية بين أطفال الحي»[3]، ارتبط كل من الأب الحقيقي و المتخيل بالواقع و الوطن عن طريق حب اللغة العربية و تقديسها عند أب بقطاش، وحب اللغة العربية هو جزء من حب الوطن الكبير الذي يعشقه أب مراد و يقدسه.

المقدمة: صرح بها الطاهر وطار في مقدمة الرواية، حيث نفهم من ثنايا كلامه أن مرزاق بقطاش كتب عن حياة ه وهو متفق معه و اعتبر كل حياة « لا تعبر بذاتها عن نفسها...و هذا التعبير إذا لم يكن صادقا واعيا لا يكفي» [4] يقر وطار بأن البحث عن أسباب نجاح عمل أدبي ما، إنما هو بحث في قدرة الكاتب على رسم الواقع بصورة جمالي ة تلامس صورتها الأصلية مع مسحة فنية للخيال، ومن جهة ثانية يؤكد أن على الروائي كتابة حياته بنفسه حتى تس تفيق مشاعره و عواطفه،فيسترجع حوادث خلفت أحاسيس في نفسه و يرجع بفكره و خياله إلى ذلك الزمان ليعيشها مرة ثانية، وبالتالي يكون صادقا فيما يكتب، و هذا ما فعله **نس ب قة ع ص** عندما استحضر طفولته.

ب ع ة ة آ م ن إ ف ي ب ش ر ي ب ص ذ آ : يمثل التطابق الشرط الأساسي الثاني عند **ي ح ه** حيث يعد ب وعلى التطابق بين المؤلف و الشخصية في حين أن المؤلف اختار أن ينكر هذا التطابق أو على الأقل اختار أن لا يؤكده"[5].

1- مرزاق بقطاش: طيور في الظهيرة، ص60.

[2]- المصدر نفسه: ص120.

[3]- المصدر نفسه: ص54.

[4]- المصدر السابق، ص12.

5- فيليب لوجون: السيرة الذاتية في الرواية الجزائرية، ص55.

تعرف السيرة الذاتية بضمير المتكلم (أنا) الذي يحيل على الذات مباشرة، و يصهر كل من الراوي والكاتـ ـب في بوتقة واحدة. كما يمكن أن تروى بضمير الغائب (هو) فيتم التطابق بطريقة غير مباشرة، و ذلك بإقامة المعادلـ ـة المزدوجة التالية :المؤلف = السارد، و المؤلف = الشخصية، إذا السارد = الشخصية .رغم تعمد بقطاش في ثنائيته " طيور في الظهيرة " " و البزاة " استخدام ضمير الغائب ليوهم القارئ بأن نصـ ـه سيرة غيرية على الأقل إن لم يرض القارئ بأنها رواية، ليؤكد الانفصال بين من عاش القصة (البطل) و من يسـ ـردها (الراوي). لكن يتضح أن قصة مراد الشخصية الرئيسية تتقاطع في الكثير من المواطن مع سيرة الكاتب، حيث يحمـ ـلان الكثير من السمات المشتركة بينهما :

1-الاسم: يشتركان في الحرفين الأولين الميم و الراء (مراد – مرزاق).
2-المولد: نشأ كل منهما في حي باب الواد بالعاصمة .
3- العمر: عمر مراد في الفترة التي تؤرخ لها الرواية هو نفس عمر مرزاق في ذلك الوقت (12 سـ ـنة 1957) ومراد النموذج المتميز بين أترابه و أبناء حيه و زملائه في الدراسة، هو مرزاق الكاتب يوم كان صغيرا و كان يشعر بالفارق بينه و بين الآخرين، و ذلك شعور الكاتب في مختلف مراحل حياته(16-4).
4- المطالعة:نشأت فيهما غريزة حب القراءة، و الشاهد على هذا الحب الأم

أ) أم مراد «: بدأ الحفظ وهو لا يتجاوز ثلاث سنوات من العمر على حد ما قالته أمه »[1] .

ب) أم مرزاق: صرح بقطاش في الحوار الذي أجراه معه عبد العالي رزاقي «: أمي تقر بمدى العلاقة بيني و بين القراءة منذ نعومة أظافري – الثالثة من عمري – و مازالت تحدثني عنها إلى يومنا هذا.

5-عشق الخط العربي: يتوازى لدى مرزاق حب اللغة العربية و كتابتها حين يستعمل كلمة (يخط) ليؤكد علـ ـى عشق هذه اللغة و الرغبة في كتابتها ليتفنن في تزيينها بمختلف الألوان الرامزة :

---

[1]- مرزاق بقطاش: طيور في الظهيرة، ص21.

أ- في الرواية«: تناول قلما أحمر... قرب القلم من شفتيه و جعل يضغط على طرفه بأسنانه، و سـ رعان مـ ا إلتمعت عيناه، فانحنى على الكراس ليخط عليها »[1] .

ب - في الواقع: قال في حواره مع الصحفي عبد العالي «: أنا أعشق الخط العربي، ووراء هذا الخط أشـ كال، وكتل وأحجام و تناغم هندسي، و لذلك عندما أكتب باللغة العربية استخدم القلم و أمـ امي علـ ى الطاولـ ة العشرات من الأقلام المختلفة من شتى الأحجام.

الثورة: عاشا البطل الكاتب الثورة في مدينة الجزائر و تأثرا بأحداثها و شاركا فيها على حسب الدور، رغم أن الكاتب جعل راويا يسير الأحداث و يقدم القص و الوصف و يطلع على ما ستقوله الشخصيات بصيغة الغائب، إلا أن مدى مصداقية هذه الأحداث من واقع تاريخ الثورة يجعل الثنائية الروائية مطابقة تماما لما جرى أو مشابهة لما جرى أثناء الثورة، وهي بعيدة عن الخيال. ومن ثم فإن المعطيات توحي بتقمص الكاتب شخصـ ية البطل وحلوله في شخصية الراوي، ليروي لنا عن نفسه وتجاربه وقد استطاع أن يرسم صورة إنسان أوأنـ اس ثوريين[2] .

نستنتج مما تقدم أن الثنائية الروائية تستوفي الشروط التي وضعها فيليب لوجون، و إن كان هذا الاستيفاء بصيغة مباشرة أو غير مباشرة فإنها ترتفع إلى درجة احتمال أن تكون سيرة ذاتية لمرزاق بقطاش، و من جهة ثانيـ ة امتـ زاج الواقعي بالمتخيل أو السيري بالروائي يقف دون تحديد نسبة المطابقة مع الواقع، و هذا ما يتطلب عناصر أخرى تظهر فيها شخصية بقطاش في الرواية لتتطابق مع البطل، و إن كان بضمير الغائب الفاصل بـ ين الراوي والشخصـ ية ، إلا أن حالة الإتحاد و التوحد تظهر من خلال :

أ- الذاكرة: ترتبط السيرة الذاتية بالماضي، و هذا الارتباط إنما هو ارتباط الكاتب بماضيه، لتكون لحظة الكتابة لحظة استذكار و استحضار و بوح بالمدفون بكل العواطف و الانفعالات التي كانت في زمنها البعيد، ولعل أشد الذكريات التصاقا بالنفس ذكريات زمن الطفولة ، وهذا ما حمل مرزاق على استرجاع مرحلة الطفولة، لتكون الـ ذاكرة فيهـ ا على نوعين: نفسية ومكانية:

أ- ذاكرة نفسية: وهي المتعلقة بالعواطف و الانفعالات، حيث توجد أحداث مهمة في هذه المرحلـ ة لـ م تغـ ادر ذهنـ ه ونقشت في ذاكرته، من بينها الطريقة الشنيعة التي قتل بها البطل عبد الرحمن، ذلك

---

[1]- المصدر نفسه ، ص120.

[2]- الأخضر الزاوي: صورة مدينة الجزائر في الرواية العربية الجزائرية بعد الاستقلال وعن البير كامو، دراسة فنية، منشورات جامعة باتنة 1998، ص132-133.

الشاب الشجاع الجريء، لم يعرفه مراد إلا في فترة قصيرة عندما أمره بحراسته، إلا أنه أحبه كثيرا و لم يستطع نسيانه، حتى أن الراديو الذي سـ ـاعد محمد الصغير في صنعه قرر أن يهديه إلى المجاهدين إكراما لروحه « و ضرب كفا بكف و هو يتذكر عبد الرحمن الذي صادفه ذات يوم في عين المكان ثم توقف تحت شجرة زيتون صغيرة لا يجرؤ على الـ دخول إلـ ـى الكـ وخ، ووجد نفسه يعقد العزم على مواصلة العمل لإنجاز الراديو جالينيه إكراما لروح عبد الرحمن »[1] . فظـ لـ هـ ذا بمثابة هاجز له، فكلما تفكر الراديو تفكر عبد الرحمن، و الوعد الذي قطعه على روح الشهيد . تخون الذاكرة الكاتب – عادة – في استرجاع بعض التفاصيل فيلجأ إلى أطراف مساعدة كاليوميات و المذكرات، والتي قد يذكرها في سيرته باعتبارها مصدره الخاص للاسترجاع، غير أن مرزاق لم يكن في سن و ظروف يسـ محان له بتدوينها فلم يجد إلا أمه أقرب الناس إليه معينا له على التذكر، خاصة ما ترسب عندها من أجمل الذكريات إذ تقول عنه: « وما كاد يبلغ السادسة حتى كان قد تعلم الحروف الأبجدية كلها، و حفظ حزبين من القرآن، أما الأناشـ يد فقـ دـ كانت ترسخ في ذاكرته بمجرد سماعها »[2]، إنها ذكرى رائعة يستحيل نسيانها ومن ناحية أخرى إشهاد منهـ ـا بـ ـأن ابنها يتمتع بذاكرة قوية وسرعة الحفظ . لا يرد استرجاع الذكريات متسلسلا كما في الواقع و إنما يتصرف فيه السارد بحرية معتمدا على مبدأ الانتقـ ـاء حيث « تهدم و تبين حسبما يلائم تجدد الظروف و تغيرها، و تجد التعليل و المعاذير لأشياء سابقة، لأنها فـ ي عمليـ ـة كشف دائم، و معنى ذلك أن الماضي شيء لا يمكن استرجاعه على حاله و لا مناص من تغييره بوعي أو بغير وعـ ـي»[3]. يتبلور التخييل في السيرة فيضيء بعض الجوانب التي غشيها ضباب الذاكرة فحجبها عن الإدراك، متخـ ذا فـ ي ذلك عدة أشكال، و عليه يعمد الروائي إلى استعمال عدة أفعال من شأنها فتح المجال لاشتراك المتخيل السـ ـردي فـ ي الواقع السيري، ومن بين الأفعال التي استعملها بكثرة (لاحظ – تخيل) حتى يربط بين الأحداث، ويحسس القارئ أنها سيرة ذاتية، فهذه الأفعال تنبع من الذات، إنها آنية وعين الشخصية التي تقوم بها، تعلم وحدها (لماذا)؟ و ما الذي دفعها لفعل ذلك؟ . استعمل الكاتب الفعل (لاحظ) للدلالة على الرؤية الثاقبة الفاحصة لكل شيء خاصة للمتغيرات اليومية: سـ واء كانت: الأحوال المحيطة، أو ملامح الأشخاص أو نفسياتهم أو تصرفاتهم، من خلال العيون

---

[1]– مرزاق بقطاش: البزاة، ص128.

[2]– مرزاق بقطاش: طيور في الظهيرة، ص21.

[3]– إحسان عباس: فن السيرة، ص114.

والحرك ات والتص رفات، معللا ومفسرا ما يلاحظه. نسب بقطاش تخيلاته من خلال الفعل (تخيل) إلى مراد، و أوهمنا أنها حقيقة يتعرض لها أثناء شعوره بالخوف سواء كان من الاستعمار "خياله الجامح لا يسمح له بأن تكون قوة العدو أعظم من قوة المجاهدين "[1]،أو من شبح الفقر« يتخيل نفسه متسولا يعبر الطرقات و يطرق الأبواب »[2]، يتخيل أيضا عندما يكون في مزاج جيد لكن تدور في مجملها حول المجاهدين مجيبا عن التساؤلات التي يطرحها عن نفسه. استطاع مرزاق من خلال : الفعل (لاحظ) التأكيد على أن التفسير الذي يتبع الملاحظة لم يصدر منه أو من طفل صغيروإنما حضر لحظة الكتابة من بنات خياله . الفعل (تخيل) صنع تخيلات تتناسب مع سن مراد حتى لا يقع تناقض و لا ينتبه القارئ إليه؛ أي أنها تخ يلات آنية تابعه لسرد الكاتب.

ب – ذاكرة مكانية: وهي المتعلقة بالمكان، إذ يلعب المكان في نصوص السيرة الذاتية دورا هاما في تكوين مرجعي ات الذات التي تحكي تجربتها، لأن « الذات البشرية لا تكتمل داخل حدود ذاتها و لكنها تنبسط داخل هذه الحدود لتصبغ كل ما حولها بصبغتها وتسقط على المكان قيمتها الحضارية »[3]، ومن ثم قربها من الواقع، إنها استعادة لحيوي ة ذاكرة تبحث عن لذاتها الحميمة وتستلها من ذاكرة المكان، وما هذه السيرة التي كتبها مرزاق إلا اتساق م ع ذل ك وتفسير تدويني له، حيث كان مرزاق في الثنائية شديد الارتباط بالأماكن التي عاش فيها، وكان حريصا على وصفها وصفا تفصيليا ليبين تأثره بها وتفاعله معها «لكم يحب مراد هذا المكان من الحي...، شجرة الزيتون العتيقة الت ي يجلس تحتها ملأ بطيور قلقة تبحث عن مكان للنوم، هذه شجرة تنبت على قارعة الطريق الترا ب ي يـ ربط الح . ي بالغابة..، الطريق تنحدر قليلا، ثم تلتوي نصف التواءة عند الأشجار الأولى من غابة الصنوبر، فالغابة تبدو متكتل ة حول نفسها...بعد الغابة مباشرة يبرز جانب من الحي بـ اب الـ واد وق د ت سـ ربل بظلم ة خفيف ة، ث م يظهـ ر البحر هائلا»[4] ،لا تتكون ولاتكون الذاكرة بدون الماضي؛ فهناك أمكنة حين نعود إليها تعود بنا الذاكرة للوراء فنتنسم الماضي، فبجلوس مراد في آخر المنبسط، تداعى رصيد ذاكرته عفويا، و حضرته الأقاويل التي نشرت عن حند المجنون،

---

[1]– مرزاق بقطاش:البزاة، ص12.

[2]– المصدر نفسه، ص31.

[3]–يوري لوتمان: مشكلة المكان الفني، ترجمة وتقديمة سيزا قاسم، مجلة الألف، ع6، 1986، ص83.

[4]– مرزاق بقطاش: طيور في الظهيرة، ص15.

وم ن بين ما تذكره أنه «سمع عنه بأنه تسلق شجرة التين التي تقوم في أطراف المنبسط، و علق على أغصانها العليا خم ارا أحمر و آخر أخضر زاعما أنه يعلق علم الجزائر »[1]. وأيضا عندما كان « يسير وحيدا على الرب وة مض طرب النفس تذكر إصرار جدته خلال الصيف الأخير على اقتلاع تلك النباتات الطفيلية لفلاحة ذلك المنبسط» [2].

الرؤية الس ردية : تعتبر وجهة نظر الراوي من أكثر المكونات السردية توسطا في الذاتية لذا تعتمدها السيرة الذاتية بشكل كبير. وقد تم السرد في ثنائية بقطاش بالطريقة الملحمية، أي أن الراوي عليم بكل شيء، وهذا راج ع إل ى طبيعة الموضوع فالثورة لا تتحدد بشخص واحد و إنما هي شاملة، و لا تتقيد ببطل واحد إنما يتسع مجال بطولتها إلى الشعب ككل، لذلك تناسبه الرؤية من الخلف التي يتفوق فيها الراوي على الشخصيات في العلم لبث الإيديولوجية الثورية، مستخدما في ذلك الحكي بضمير الغائب الذي « يتيح للكاتب أن يعرف عن شخص ياته و أح داث عمل ه السردي كل شيء، فيكون وضعه السردي قائما على اتخاذ موقع خلف الأحداث التي يسردها...[كما] يمكَن السارد من أن يتوارى خلفها ليمرر ما يشاء من الأفكار و الإيديولوجيات و التعليمات و التوجيه ات و آراء أخ رى دون تدخله صريحا أو مباشرا »[3]، يستدعي الحديث عن الثورة توفر الوعي و العقل و التفكير، و هذا ما يعوز البطل مراد لصغر سنه، لذا أقح م الروائي نفسه داخل عمله، مما ساعد على تحريك الأحداث وقيادتها نحو المسار الذي تفرضه رؤيته المتمثلة في نظ ر مراد و أطفال حي باب الواد، و تمرير إيديولوجيته عبرهم، فالطيور التي بدت لمراد قلقة إنما هي رمز لوضع الش عب الجزائري الذي أخذ يستعد لمواجهة الاستعمار و يتأهب لإعلان الثورة، أما البحر الذي وقع في روع مراد أنه يبتلع حي باب الواد كله و جزءا من الغابة فهو الثورة ذاتها التي توشك أن تعصف و تغير الأوضاع جذريا . يقدم بقطاش في نهاية الرواية بديلا لتحدي الاستعمار في مرحلة ما بعد الاستقلال إنه العلم، فقد سعى الروائ ي إلى طرحه كرؤية حضارية، و قد أنبنى هذا الطرح من خلال الصراع الذي دار بين محمد الصغير و جورجو من أجل مقاليد صنع راديو جالينيه، والذي خصص بقطاش له الجزء الأكبر من " البزاة "، و في النهاية استطاع محمد الصغير صـ نع الراديو بمساعدة مراد رغم الفقر و الوسائل البسيطة، إلا أنه يتم حرق الراديو في الأخير خوفا من عث ور الس لطات

---

[1]- مرزاق بقطاش، البزاة، ص17.

[2]– المصدر نفسه، ص20.

[3]– عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة، ع240،1998، ص159.

الفرنسية عليه، لكنه يبقى رمزا على قدرة الشعب الجزائري على التحدي و الإنجاز التقني و التواصل الحضاري، لتعد رؤية مستقبلية لبقطاش حين اعتبر العلم الأساس الذي يجب أن تتبني عليه الجزائر من جديد . كما فرضت عليه المرحلة التي كتب فيها الرواية معالجة مشكلة الوحدة الوطنية، وقد جسدها انطلاقا من وع ي مراد بأساليب الاستعمار التي تعمل على إحداث الفجوة بين اتحاد الشعب الجزائري و تعميق الفتن بي نهم، والتك ريس لعوامل التفرقة « هذه في الواقع حيلة تعمد إليها السلطات الاستعمارية في كل مكان من البلدان الخاضعة لها، ألم تعم ل من أجل بث الشقاق بين منطقة القبائل و منطقة الشاوية و بين ميزاب و سكان الناحية الغربية من الجزائر»[1]، تكون هذه الإيديولوجيا التي يبثها الكاتب في ثنايا نصه متأخرة عن المرحلة التي يتحدث عنها، لأن تفسير الحدث يأتي في مرحلة متأخرة عن زمن وقوعه و يتناسب مع مقتضيات العصر، و هذا أمر طبيع ي لأن الـ ذات الموضـ وع البطل) في الكتابة في مرحلة متأخرة (الطفولة)، والذات الساردة عندما تروي إنما هي في زمن متقدم و في موقع من الفهم و الإدراك أوسع من الموقع الذي كانت فيه الذات الموضوع، و بذلك يتيح الراوي الكاتب لنفسه أن يعيش تلك التجربة أو المرحلة (الطفولة) و لكن يرى بعين ليست عينها.

يرصد الراوي العليم كل تحركات الشخصيات و سكناتها و يطلع على ما في نفسها من اضطراب، حت ى اذ ه يوجه البطل إلى ما ينبغي فعله«يحسن به الآن أن يبقى فوق سطح الدار، و أن يظهر بمظهر الطفل الهادئ على الـ رغم مما تصطخب به أعماقه »[2].

و تمتد إحاطة الراوي بكل شيء حتى أنه يعلم أسرار والد مراد و علاقته بالمجاهدين، كم ا يس تطيع الـ راوي متابعة أفكار عديدة من الشخصيات في آن واحد كجمعه ردود فعل الشرطة و الفتيان الأربعة و المبلغ ع نهم و س كان الحي حول قضية الفتاة « ولم تستطع الشرطة إلقاء القبض عليهم إلا بعد أسبوع في أعلى الجبل المقابل للحي بعد أن قام أحد الذين يتعاملون معها بالإبلاغ عن مكانهم، وثارت ثائرة الحي، و هدد العديد بقتل الخائن الذي أبل غ ع ن الفت ي ان الأربعة »[3]. كما أبعد الراوي مراد عن معرفة كل تفاصيل القضية، فلم يعرف المعلومة الجديدة التي أصدرها أح د

---

[1]– مرزاق بقطاش: البزاة، ص126.

1– المصدر السابق: ص29.

[3]- مرزاق بقطاش: طيور في الظهيرة، ص17.

الفتيان، على غرار السارد المطلع عليها « لقد قال البعض من فتيان الحي بأن الشرطة ستأتي غدا إلى الغابة و تصحب معها الفتيان الأربعة و الغجرية للتحقيق في الحادث »[1].يكون الراوي عليم في الرواية أمر طبيعي لأن السارد (المؤلف) يكتب سيرته الذاتية بكل وعي، خاصة أنه عارف بمكنونات نفسه و شواغلها و إحساساته و تفكيره و أهم الحوادث التي أثرت فيه، مستخدما في سرده اللغة كواسطة، فعند تحدثه عن طفولته والحرب التي عاشها و هو صغير، لم يتحدث بلغة الأطفال بحجة الصدق و إنما تحدث بإحساس الطفولة، بالطريقة التي يفكر بها الأطفال، و هذا ما يجسد الطفولة و يجعلها صادقة . كما وظف بقطاش صيغ الرؤية عندما يمهد للمقطع الوصفي لأن « استعمال الرؤية هو من أهم القرائن الدالة على الوصف البصري، لذلك نجد أن معظم المقاطع الوصفية تفتتح بعبارات وصيغ جاهزة تتضمن أفعالا تفيد الدلالة على الرؤية»[2].ومن بين الأفعال التي استعملها بقطاش: يرى – أبصر – حدق، يمكن أن نورد أمثلة منها :

1 – أما اليوم فإنه يرى العبوس على وجه الشرطة...[3] .

2 – أبصر بالباب الخلفي للسيارة ينفتح فيخرج منه الفتيان الأربعة...[4]

3 – استطاع أن يقف فوق أحد القبور حتى يتمكن من التحديق في الخطيب... [5]

4 – الفجوات عندما يقصر عمل الذاكرة، كما ساعدت على تفعيل الأحداث و تقريبها أكثر من الحقيقة.

المونولوج:هو حوار داخلي يدور بين الشخصية و ذاتها، يسعى من خلاله الراوي إلى استنطاق بؤرة سيرته الذاتية في واقعها الباطني، و هذا ما ينتج فرصة أكبر للتجلي و الكشف و الاعتراف بحرية،استعمال بقطاش الأفعال التي تدل على الرؤية السردية كان لمل ومن جهة أخرى ترميم قفزات الذاكرة و فجواتها . تعمد بقطاش استعمال حديث النفس. و اختص به مراد لمعرفة ما يدور في عقله الباطني، فيعيد لنا ترجمة مكنون أفكاره و تأملاته العفوية العميقة الناقدة القائمة على رأي نابع

1– حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1990، ص180.

2– مرزاق بقطاش: طيور في الظهيرة،ص28.

[3] – المصدر نفسه: ص29.

[4] - المصدر السابق: ص110.

[5] - المصدر نفسه: 43.

من إنسان ناضج، عاش أزمة مرحلة معينة ويبحث في سلبياتها، حتى يقدم الجديد ليصلح به الوضع السائد المتأزم، وبالتالي يكون المونولوج وسيلة يم رر بقط اش م ن خلالها إيديولوجياته و أفكاره لتبرز ذاتيته في إثرها . وجه بقطاش معظم نقده للوضع الاجتماعي انطلاقا من الواقع الذاتي عبر تساؤلات و استفسارات طفل صـ غير، تجد أجوبتها مع مرور الوقت، ليصل بالتدريج إلى طرح عدة قضايا كان لها هدف يريد أن يوصل إليه القارئ في زمن الكتابة أو الدولة الجزائرية إلى حلول تتخذها معيارا لحل أزماتها و مشكلاتها التي كان الاسـ تعمار سـ ببا فـ ي بـ روز معظمها و تركها تتخبط في أشواكها، مستعملا صيغة لشخصيته ذلك الوعي بالقضايا الكبرى:

1) الجزاء و العقاب الناتج عن عقوق الوالدين، والمتسبب في ذلك الخروج عن الأخلاق و العادات المتعارف عليها في وسط الحي؛ فجلب حسين الفتاة معه إلى الحي معانقا لها غير عابئ بأي أحد مما أحدث إحراجا للجميع، وتسـ اقطت عليه اللعنات من كل جانب .

2) القاعدة الثورية و انضمام والده إليها، يعتبر أمر حساس لا يمكنه البوح به، لأنه يهدد العائلة ويعرضها للخطـ ر إذا علمت القوات الفرنسية، و يعتبر في نفس الوقت انضمامه للمجاهدين حدثا رائعا لمراد، بعث فيه اعتـ زازا بـ النفس وتقديرا و إعجابا كبيرين بوالده .

3) سياسة الاستعمار، والكشف عن الأساليب التي يلجأ إليها، يمثلها والد روني خير تمثيل كأنها وراثة بينهم .

4) الوحدة الوطنية في المواجهة، باعتماد الإضراب كأحد الوسائل للاتحاد و الدفاع عن القضية رغبة في التحرر . وعى مراد هذه القضايا الكبرى، ولكنه لم يستطع البوح بها، والإعلان عنها، فاكتفى بالتحدث عنها مع نفسه، ذلك أن التغيرات التي طرأت على المجتمع أحدثت تغييرا في نفسه دفعته إلى التأمل وحوار الذات؛ لأن الوضع الاجتمـ اعي المزري يدفع إلى التأمل فيه و البحث عن مخرج جديد للخروج من الأزمة فـ . (متى كان المرء أكثر بؤسا وشقاء كان أكثر قابلية للتطور نحو القوى التي تسهم في بناء المستقبل[1]، مما سبق نستطيع القول أن الثنائية تتطابق إلى حد ما مع سيرة بقطاش في مرحلة الطفولة رغم تعمـ د مـ رزاق الاختباء وراء عناصر التخييل، إلا أن القارئ المطلع على

1- واسيني الأعرج: اتجهات الرواية العربية في الجزائر، بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص406.

حياته يستطيع للوهلة الأولى التعرف على نقاط التقاطع بين الواقعي والمتخيل، ومن جهة ثانية تبرز ذاتية الروائي من خلال بث أفكاره وإيديولوجياته التي جاءت في فترة متقدم ـة عن المرحلة التي دارت فيها الأحداث والتي طرحها بطريقة لا يمكن أن ينتبه إليها القارئ إلا بعد قراءة فاحصة نقدية يميز بها أحداثا واقعية ومتخيلة وأفكارا متقدمة للكاتب تعبر عن فترة كتبت فيها الرواية وذلك بعد إلمام ـه بـ ـالظروف الخارجية، كما يمكن أن يقع القارئ ضحية للروائي فيصدق المتخيل ويرفض الواقعي لذا يرجع الممكن واللاممكن إلى فطنة القارئ ومدى وعيه.